الاكتشافات الآثارية ودورها في توجيه القصص القرآني
عند العلامة الطباطبائي

أ.م.د. حيدر جبار دفتر
كلية التربية/ جامعة القادسية
haedar.dafter@qu.edu.iq

م.د. ابتهاج سماع علي
كلية الآثار/ جامعة القادسية
ebtehaj.ali@qu.edu.iq

الخلاصة:

لا شكَّ في أنَّ جلّ الدراسات العلمية لا تخلو من جنبة تاريخية أو آثارية واضحة المعالم لا يمكن الاستغناء عنها أو مجانبتها ، فالبحث العلمي لا بدَّ أن يستند على مرتكزات خاصة وعامة، وهذه المرتكزات ربما تكون جغرافية ، أو اجتماعية أو تأريخية أو آثارية أو غير ذلك ، فالعلوم متداخلة ومتزاوجة ولا يمكن فصل بعضها عن بعض .

أقول إنَّ في الدراسات اللغوية والقرآنية جوانب مهمة تحتاج الى بحث وتمحيص ودقة ، ولطالما احتاج الباحث في الدراسات القرآنية الى الجانب الآثاري المتمثل بكشوفات علمية تبنتها دراسات عالمية على أيدي متخصصين من العرب أو الغرب وصولا الى الحقائق ، كلُّ ذلك دعا بعض المفسرين الى الاعتماد على نتائج هذه الكشوفات ومقارنتها بما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن ، الغاية منها دفع الاشكالات الموجهة الى بعض النصوص القرآنية، وبعضها الآخر لإزالة اللبس وعدم الوضوح من حيث الظاهر في نصوص أخر . ولا شكَّ في أنّ الذي تحدثنا عنه قد غفل عنه كثير من أهل العلم ولا سيما المفسرون ، وفي الوقت نفسه لم يفت بعضهم ، فقد تابعت العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان في تفسير القرآن) فوجدت كثيرا من هذه الطروحات وخاصة في ما يتعلق بـ (قصص الأنبياء) أو تاريخ الأنبياء ، فهو يورد القصة بمتعلقاتها ، ويتناولها بدقة وروية ، وينقل عن التوراة والإنجيل ، ويعمل جاهدا على مقارنتها مع القرآن حتى جُمعت هذه القصص في كتاب مستقل كان عنوانه (قصص الأنبياء) .

وبعد متابعة العلامة (رحمه الله) كانت عندنا مجموعة من النماذج التي يمكن الركون اليها، واعتمادها في توجيه القصص القرآني ، من ذلك (قصة ذي القرنين ، وقصة نوح وصنعه الفلك، وقصة موسى والخضر ، وقصة سليمان ، وهلم) . ليكون السيد الطباطبائي ومقارناته ومحاوراته للنص في ضوء الكتب المقدسة وتأييده أو رفضه أو محاوراته وفقا لما جاء في البحث والتنقيب الآثاري مصدر بحثنا العلمي هذا .

الكلمات المفتاحية: الاكتشافات، الآثارية، العلامة، الطباطبائي، القصص، القرآن

Archaeological discoveries and their role in directing Quranic stories At Allama Tabatabai

Assist. Prof. Dr. Haider Jabbar dafter
College of Education
University of Al-Qadisiyah
haedar.dafter@qu.edu.iq

Lect. Dr. Ebtehaj Sammaa Ali
College of Archaeology
University of Al- Qadisiyah
ebtehaj.ali@qu.edu.iq

Abstract:

There is no doubt that most scientific studies are not without historical or archaeological overlaps. Scientific research must be based on foundations that may be geographic, social, historical, archaeological or otherwise, as the sciences are intertwined and interrelated and cannot be separated from each other.

In Qur'anic studies there are aspects that need research, scrutiny and accuracy, and I have always needed the archaeological aspect represented by scientific revelations adopted by international studies by specialists from the Arabs or the West to reach the facts. All this called on some commentators to rely on the results of these revelations and compare them with what was mentioned in the Torah, the Bible and the Qur'an. The purpose of it is to push back the problems directed at some Qur'anic texts, and some others, to remove the ambiguity and lack of clarity as they appear in other texts. Allama Tabataba'i followed up and found many of these propositions, especially with regard to (stories of the prophets) or the history of the prophets. Its title Stories of the Prophets.

Accordingly, Sayyid Tabatabai and his comparisons and dialogues of the text in the light of the Holy Books and his endorsement, rejection, or conversations according to what was mentioned in the archaeological research and excavation will be the material of our scientific research.

Keywords: Discoveries, archaeology, allama, Tabataba'i, stories, the Qur'an

مقدمة:

إنَّ توجيه القصص القرآني يحتاج الى أدوات علمية ، وأخرى لغوية وسياقية ، وبحثنا هذا سيسلط الضوء على الكشوفات العلمية الآثارية بمصاحبة سياق المقال والمقام ، والاعتماد على القرائن الداخلية والخارجية التي تدفع باتجاه تصحيح فهم الخطاب القرآني ، وحمله بعيدا عن الإشكالات والالتباسات وعدم الدقة بلحاظ سياق الاستعمال .

وعندما نتحدث عن النص القرآني بوصفه نصا مقدسا لا بد لنا أن نضع بين أيدينا جملة من الأدوات ، أو رزمة من المتبنيات القبلية و اللغوية و التاريخية والآثارية وغير ذلك ...

أما حين نقترب أو نريد الاقتراب من تخصص معين فلا بد لنا أيضا أن نتوخى الدقة والحذر في التعاطي مع هذه المتبنيات ؛ لبعدنا عن نزول النص أولا ، ولتاريخية النص الممتلئة بالإسرائيليات والمداخلات والشطحات ثانيا .

واليوم نتحدث عن مسالة تمثل العمود الفقري بالنسبة الى الدراسات القرآنية التي فيها جانب نثري وسردي ألا وهي (القصص القرآني) وكلها عبرة وعظة ، وفيها أحسن القصص كما يعبر القرآن الكريم نفسه . إذ سنطرق الباب من زاوية علمية آثارية كاشفة عن تنقيبات عربية وعالمية أشار إليها العلماء قديما وحديثا ، ورجل ميداننا اليوم هو العلامة المفسر السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) ، إذ كان له باع طويل في علم التفسير ، بل يعد مجددا فيه ، وله إضافات مثبتة في مظانها وأماكنها من هذا العلم .

ومن جملة الأشياء التي وقف عندها العلامة هي الكشوفات الآثارية ومتابعتها بدقة ، فقد نثرها هنا وهناك في تفسيره (الميزان في تفسير القرآن) ، وقد جمعت في مؤلف خاص عنوانه (قصص الأنبياء) . وكان للرجل اطلاع دقيق على كتب الديانات الأخر (التوراة ، والإنجيل ، والزبور) . زِد على ذلك الجانب الأثري الروائي لما ورد من أحاديث تدلل على صحة ذلك أو عدمه ، فمنهجه قرآني _ أي يفسر القرآن بالقرآن _ ، وروائي ، وحديثي ، وعلمي ، ولذلك فلا بد للنتائج أن تكون طيبة .

لقد اقتضت طبيعة البحث أن يبدأ بهذه المقدمة البسيطة يردفها مدخل بعنوان (نبذة مختصرة عن السيد الطباطبائي ومنهجه) ، وارتأينا أن نقسم البحث على مطلبين موجزين الأول تحدث عن ذي القرنين وبناء السد والثاني عن نوح عليه السلام والطوفان ، وهنا نود الإشارة الى أننا لم نسمِّ المطلبين مبحثين ؛ لأن

موضوع البحث أوسع مما ذكرنا وإذا شاء الله وقدر لنا سنعمل على تطوير فكرة البحث الى كتاب أكثر تفصيلا مما ذكر هنا ، وأخيرا لا بدَّ لكل بحث من نهاية تكون هي الخاتمة له متلوة بقائمة المصادر .
ومن الله التوفيق ....

نبذة مختصرة عن السيد الطباطبائي ومنهجه

هو السيد محمد حسين الطباطبائي المعروف بالعلامة الطباطبائي ، والملقب أيضا بالحسني والحسيني والقاضي وآية الله العظمى والمفسر والراوي والفيلسوف والمتكلم والعارف وغيرها من الألقاب ، ولد في مدينة تبريز (١٣٢١هـ – ١٩٠١م) وتوفي في مدينة قم المقدسة (١٤٠٢ ه -١٩٨٢م) وكان يتنقل في حياته بين تبريز وقم النجف لأجل الدرس والعلم . وهو من كبار علماء الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري. ومن الشخصيات التي تركت بصمات واضحة في الميدان العلمي أو الفكري في العالم الإسلامي. له مؤلفات عدة أشهرها التفسير المعروف (الميزان في تفسير القرآن)، فضلا عن الكتب الفلسفية مثل : بداية الحكمة ونهاية الحكمة وكتابه المعروف أصول الفلسفة . وله العديد من الآثار العلمية والتآليف القيّمة منها المطبوع وغير المطبوع ، والمتنوعة بين أصول وفقه وفلسفة وحكمة وسياسة وتعليقات فضلا عن الرسائل المتنوعة [١] .

وتظهر شخصية العلامة بأعماله وآثاره التي تركها في جيله، إذ ترك بصمات واضحة على الفكر الإسلامي، وأوجد تحوّلاً جَذرياً في الدرس التعليمي أو التفسيري ، فقد وضع أُسُساً بديعة لتفسير القرآن الكريم ، وعمل على إشاعة التفكير الفلسفي في الأوساط العلمية. كما سعى الى تبيين المسائل الفلسفية بصورة واضحة وملموسة ، فضلا عن نشر آثار أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، والحثّ على مطالعتها بدقة ، وعمد الى الجمع بين الحقائق القرآنية وما أُثر عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير الآيات، إذ قام باستخراج ما جاء في الروايات حول تفسير الآيات، بعد إنعام النظر فيها . يضاف الى ذلك أنه كان يدعو الى صبّ الاهتمام لحلّ مشكلات الآثار ، والحث على تهذيب النفس وتربية جيل مؤهّل لكسب الفضائل الأخلاقية . أو تربية شخصيات علمية وفكرية عديدة بين مدرّس ومفكّر لهم عطاؤهم العلمي [٢] .

ويمكن القول إنَّ من أهم الأسس التي قام عليها تفسيره المشهور (الميزان في تفسير القرآن) أنَّه تفسير مفصّل بأسلوب حديث يشمل جميع متطلّبات العصر الحاضر، تُراعى فيه الجهات التاريخيّة و الفلسفية و الاخلاقية و البحوث الاجتماعية و الروائيّة. فقد كان من جُل اهتمامات العلامة (رحمه الله) أن يضع أبحاثا مستقلة تحت عناوين رئيسة نحو : البحث الروائي و البحث الاجتماعي و البحث الفلسفي والبحث الأخلاقي والبحث النفسي والبحث التاريخي وغيرها[٣] . وهو عندما يتناول قصة من قصص الانبياء يبدأ بذكر تفاصيل القصة في القران الكريم اولا ثم يذكر تفاصيلها في التوراة ليناقش بعدها مواطن الاتفاق والاختلاف بين الكتابين . وما يهمنا هنا ما ينقله العلامة من أخبار وأساطير أو كشوفات ترجحها بعض الفئات او البعثات او التنقيبات ، ولعل منهجه هذا أقرب الى ما يتطلع اليه المحدثون ، إذ " إنَّ دراسة المعلومات القرآنية وأحاديث أهل البيت (ع) المرتبطة بها في ضوء معطيات علم الآثار وكشوفاته ستؤدي إلى فتح آفاق جديدة في فهم حركة التاريخ البشري وتطور الحضارات ، مضافا إلى ترشيد حركة التنقيب الآثاري في الشرق ، وتصحيح مسيرة علم الآثار وإعادة تنظيم أولويات أهدافه ليؤدي أيضا إلى حركة اكثر نشاطا باتجاه القرآن واقرب إلى هدفه من تلك التي نشأت بفعل دراسة بعض آيات القرآن في ضوء معطيات العلم الحديث ؛وذلك لأن الأفق العلمي الحديث الذي كانت تنطوي عليه بعض الآيات بقي كامنا حتى أثارته الكشوفات العلمية الآتية من الغرب المسيحي وهو امتياز يسجله القرآن الكريم في قبال التوراة التي أبدت نصوصها في هذا المجال تخلفا سجله الباحثون الغربيون أنفسهم عليها " [٤].

المطلب الأول // ذو القرنين وبناء السد

سنبدأ الآن بعرض بعض الأمثلة التي وقف عندها مفسرنا ، نحو قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا

(٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)}[٥]

لعلّ أبرز ما يهمنا ويعنينا من الآيات المباركات بناء السَّد حينما بلغ ذو القرنين بين السدين ووجد من دونهما قوماً ، شكوا اليه إفساد يأجوج ومأجوج ، وعرضوا عليه أن يجعلوا له خرجا (أي مالاً) على أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج هذا السد ، لكن ذا القرنين أبى أن يقبل خرجهم ، وطلب منهم أن يعينوه بقوة وزبر الحديد والمنافخ والقطر . ويبدو من ظاهر سياق الآيات القرآنية أنَّ الردم الذي بناه هو في غير مغرب الشمس ومطلعها ، فإنه بعدما بلغ مطلع الشمس أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين ، وكذلك من مشخصات ردمه مضافا الى ذلك أنه واقع بين جبلين ، وأنَّه ساوى بين صدفيهما ، ولا محالة هو في مضيق رابط بين ناحيتين من نواحي الأرض [٦] . فمن هو ذو القرنين هذا ؟

ذو القرنين رجل من رجالات التاريخ ،وعظيم من عظماء البشرية ، اختلف المحققون والمؤرخون في اسمه ونسبه والمدة الزمنية التي عاشها . فقيل هو عياش ، أو عبد الله بن الضحاك بن معبد ، وقيل هو أبو كرب شمر بن عميد بن افريقش الحميري ،وقيل هو صعب بن ذي مرائد بن الحارث الرائش الحميري ، وقيل هو لقب داريوش أو كورش أحد ملوك الدولة الهخامنشية في فارس ، وهناك من جعله لقبا للإسكندر بن فيلقوس أو فيليب الثاني بن مضريم بن هرمس بن هيدودس اليوناني[٧] .

أما المذكور في القرآن الكريم فقد كان عبدا مؤمنا صالحا عادلا فاضلا ، أحب الله فأحبه ونصح لله فنصح له .والحق أن ما ذكر في القرآن الكريم يمثل ملامحا آثارية واضحة ولكنها مجملة وغير بينة ، وهي تحتاج الى بيان وتوضيح بعقد مقارنة مع الكتاب المقدس بعهده القديم (التوراة) لإظهار واستنتاج ما ذكره اليهود عن هذه الشخصية العظيمة التي نريد الوقوف على ملامحها ، وما قدمته هذه الشخصية للبشرية وما تركته لنا من اثار باقية تمثلت بذلك السد المشيد على يديه ومن فتوحات لبلدان متعددة ، وما تعرض له من مجابهة من بعض الاقوام ولا سيما قوم يأجوج ومأجوج وغيرهم .

يقول السيد الطباطبائي : "لم يذكر القدماء من المؤرخين في أخبارهم ملكا يسمى في عهده بذي القرنين أو ما يؤدي معناه من غير اللفظ العربي ولا يأجوج ومأجوج بهذين اللفظين ولا سدا ينسب إليه باسمه نعم ينسب إلى بعض ملوك حمير من اليمنيين أشعار في المباهاة يذكر فيها ذا القرنين وأنه من أسلافه التبابعة وفيها ذكر سيره إلى المغرب والمشرق وسد يأجوج ومأجوج" [٨] .

وزاد العلامة الطباطبائي أن يأجوج ومأجوج ورد ذكرهما باسم (جوج ومأجوج) في مواضع عدة من كتب العهد القديم [٩] ، أي في الاصحاح العاشر من سفر التكوين من التوراة ، وفي كتاب حزقيال (الإصحاح الثامن والثلاثون) ، وكذلك في الإصحاح التاسع والثلاثين ، وفي رؤيا يوحنا في الإصحاح العشرين [١٠] .

ويستفاد من ذلك بحسب قول العلامة :" أن "مأجوج" أو "جوج ومأجوج" أمة أو أمم عظيمة كانت قاطنة في أقاصي شمال آسيا ... و... أن ذا القرنين هذا هو أحد الملوك العظام الذين سدوا الطريق على هذه الأمم المفسدة في الأرض ، وأن السد المنسوب إليه يجب أن يكون فاصلا بين منطقة شمالية من قارة آسيا وجنوبها كحائط الصين ، أو سد باب الأبواب ، أو سد داريا ل ، أو غير هذه" [١١] .

ليأتي بعد هذا العلامة الطباطبائي يرجح الرأي الذي يعتقده ويميل اليه مستعينا بما ورد من أخبار في كتب الديانات الأخرى فيقول : "وهذا أيضا مما يؤيد ما استقربناه آنفا أن السد الذي نبحث عنه هو أحد الأسداد الموجودة في شمال آسيا الفاصلة بين الشمال وجنوبه" [١٢] . متواصلا بعدها بعرض الآراء والروايات التاريخية في تحديد شخصية ذي القرنين وهويته ومكان سده فيكون معارضا مرة وغير مقتنع أخرى وربما مستهزئا ثالثة[١٣] .

أما السد الذي بناه فهو موجود في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر إلى البحر الأسود ، ويسمى مضيق "داريال" وهو واقع بين بلدة "تفليس" وبين "ولادي كيوكز". واستدل الطباطبائي بما قاله المؤرخون القدماء على ذلك فقد ذكروا كهرودوت اليوناني سير كورش إلى شمال إيران لإخماد نوائر فتن اشتعلت هناك ، والظاهر أنه بنى السد في مضيق داريال في مسيره هذا لاستدعاء من أهل الشمال وتظلم منهم ، وقد بناه بالحجارة والحديد وهو الردم الوحيد الذي استعمل فيه الحديد ، وهو بين سدين جبلين ، وقوله تعالى : "فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد" ينطبق عليه ظاهرا . ومما يؤيد هذا الإدعاء وجود نهر بالقرب منه يسمى "سايروس" وهو اسم كورش عند الغربيين ، ونهر آخر يمر بتفليس يسمى "كر" وقد ذكر هذا السد "يوسف" اليهودي المؤرخ عند ذكر رحلته إلى شمال قفقاز [١٤] .

من هذا العرض الموجز يتبين لنا أن العلامة الطباطبائي قد استدل على ذي القرنين وسده وقبائل يأجوج ومأجوج بالروايات الأثرية والتاريخية وأعانه على ذلك ما جاء في كتب الأديان في أسفار العهد القديم حتى اهتدى الى مكان السد وشخصية ذي القرنين ومعرفة أقوام يأجوج ومأجوج، وعلى الرغم من كثرة النزاعات بين المؤرخين في هذه القصص فقد أعانه أيضا سياق النصوص القرآنية . حتى أنه صرح بالقول : - ((البحث عن التطورات الحاكمة على اللغات يهدينا الى ان (يأجوج ومأجوج) هم المغول ، فإن الكلمة بالتكلم الصيني (منكوك) أو (منجوك) ولفظتا يأجوج ومأجوج كأنهما نقل عبراني ، وهما في التراجم اليونانية وغيرها للعهد القديم (كوك) و(مأكوك) والشبه الكامل بين (ماكوك) و(منكوك) يقضي بأن الكلمة متطورة من اللفظ الصيني (منكوك) كما اشتق منه (منغول) و(مغول) ، ولذلك في باب تطورات الالفاظ نظائر لا تحصى)) [١٥] .

المطلب الثاني نوح (عليه السلام) والطوفان

في قصة أخرى وحديث آخر يتحدث الطباطبائي بلغة الآثاريين والمنقبين عن قصة طوفان نوح (عليه السلام) ، وينقل ما جاء في تواريخ الأمم القديمة وما ذكره أصحاب التفاسير سواء أكان موافقا لما جاء في سفر التكوين أم مخالفا له ، ويرجح بين ذلك . ويرى أن أقرب الروايات إليه هي رواية الكلدانيين ، وهم الذين وقع الطوفان في بلادهم ، فقد نقل عنهم (برهوشع) و(يوسيفوس) أن (زيزستروس) رأى في الحلم بعد موت والده (أتيرت) أن المياه ستطغى وتغرق جميع البشر ، وأمره ببناء سفينة يعتصم فيها هو وأهل بيته ... وهذا يوافق ما جاء في سفر التكوين على رأي العلامة الطباطبائي [١٦] .

وكذلك ينقل العلامة أن بعض الإنجليز قد عثر على ألواح من الآجر قد نقش عليها هذه الرواية بالحروف المسمارية في عصر آشور بانيبال من نحو ستمائة وستين سنة قبل ميلاد السيد المسيح ، فهي أقدم من سفر التكوين . وينقل العلامة أيضا أخبارا كثيرة عن اليونان وقدماء الفرس والهنود ، وما جاء في (أوستا) وهو كتاب المجوس المقدس ، وفي تاريخ الأدب الهندي عن قصة الطوفان .

ولكن بالرجوع الى قصة الطوفان في القرآن الكريم سنجد النص الالهي يخبرنا بماهية هذا الطوفان ، قال تعالى : { وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ

ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) }[١٧] . إذ تساءل السيد (رحمه الله) كما سأل غيره : هل كان الطوفان عاماً أو خاصاً بأرض قوم نوح ؟ . وأخذ ينقل آراء المفسرين الذين قالوا بأن الطوفان لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح بل كان مخصوصا بأرض قومه ، وأنهم هلكوا جميعهم بالطوفان ، ولم يبق بعده فيها غير ذريته ، كل ذلك بمعونة القرائن القرآنية والتقاليد الموروثة عن أهل الكتاب ، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الأرض سهلها وجبلها لا في الأرض كلها [١٨] .

ثم يستعين العلامة بسرد بعض الآراء بمعونة علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض ليقول : " إلا إذا كانت اليابسة منها في ذلك الزمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين وبوجود البشر عليها فإن علماء التكوين وطبقات الأرض الجيولوجية يقولون إن الأرض كانت عند انفصالها من الشمس كرة نارية ملتهبة ثم صارت كرة مائية ثم ظهرت فيها اليابسة بالتدريج " [١٩] . وهو في كل هذا يرد ويحاجج ليقطع برأيه قائلا : "فالحقّ أنّ ظاهر القرآن الكريم ـ ظهوراً لا ينكر ـ أنّ الطوفان كان عاماً للأرض ، وأن من كان عليها من البشر أغرقوا جميعاً ولم يقم لهذا الحين حجّة قطعيّة تصرفها عن هذا الظهور" [٢٠] .

ويمكننا ان نقرُّ بصحة رأي الشيخ محمّد عبده الذي قال : "وأمّا مسألة عموم الطوفان في نفسها فهي موضوع نزاع بين أهل الأديان و أهل النظر في طبقات الأرض ، و موضوع خلاف بين مؤرّخي الأُمم . أمّا أهل الكتاب وعلماء الأمّة الإسلامية فعلى أنّ الطوفان كان عامّاً لكلّ الأرض . ووافقهم على ذلك كثير من أهل النظر . و احتجّوا على رأيهم بوجود بعض الأصداف و الأسماك المتحجّرة في أعالي الجبال ، لأنّ هذه الأشياء ممّا لا تتكّون إلاّ في البحر ، فظهورها في رؤوس الجبال دليل على أنّ الماء صعد إليها مرّةً من المرّات ، و لن يكون ذلك حتّى يكون قد عمّ الأرض"[٢١] .

وينقل العلامة أيضا : ومما يناسب هذا المقام ما نشرته بعض جرائد طهران أن جماعة من رجال العلم من أمريكا بهداية من بعض رجال الجند التركي عثروا في بعض قلل جبل آراراط * في شرقي تركيا في مرتفع ١٤٠٠ قدم على قطعات أخشاب تعطي قياساتها التخمين بأنها قطعات متلاشية من سفينة قديمة وقعت هناك ، وتبلغ بعض هذه القطعات من القدمة ٢٥٠٠ قبل الميلاد [٢٢] . والحق أن قصة الطوفان وبناء السفينة قد كتب عنها الباحثون القدماء والمعاصرون وأشاروا الى تفصيلات كثيرة تتعلق بما ورد من هذه القصص في الأساطير وفي التوراة وفي القرآن الكريم ، وحاولوا جاهدين أن يتبينوا واقعية هذا الأمر بمعونة الأدلة الروائية والتاريخية والدينية ، ويبدو أن الأمر والبحث قائم الى الآن ، ولمن أراد التوسع يراجع قصة الطوفان لصلاح أبو السعود[٢٣] .

ومن هذا العرض البسيط يتبين وبوضوح أن العلامة السيد الطباطبائي كان لا يغفل رأيا منقولا هنا أو هناك من دون الاشارة اليه حتى وإن كان في عرضه إسهاب وإطالة ، لأنه يعي أهمية البحث التاريخي أو الكشف الآثاري في بيان إعجاز القرآن الكريم أولا وفي توضيح أو تحديد معنى النص القرآني ثانيًا ، لقد سعى مفسرنا (رحمه الله) فأجاد ، ونقَّب فأفاد.

الخاتمة

١. مما يمكن عدَّه نتيجة أنَّ العلامة الطباطبائي قد استدرك على جمهور علماء التفسير مادة علمية آثارية يمكن وصفها بأنها تمثل أسسا لا بأس بالركون اليها في توضيح بعض المتعلقات القرآنية الغامضة .

٢. رسم العلامة صورة واضحة ومتجانسة بين علم القرآن الكريم والعلوم الطبيعية الأخر ، ولا سيما علم الآثار ، فجلُّ الكشوفات الآثارية منبعها ومصدرها وجذورها ونواتها إشارات ورموز قرآنية لا بدَّ أن يتطلع إليها الباحثون .
٣. على الرغم من كثرة الاستدلالات العلمية والكشوفات المختبرية التي طرحها علماء الغرب والعرب ، فقد حاول العلامة جاهدًا أن يرجح بينها ترجيحا علميا وبمعونة القرائن بأنواعها سواء أكانت سياقية أم روائية ، أم غير ذلك .
٤. يظهر أنَّ العلامة قد مزج وزاوج بين ما جاء في كتب الأديان والقرآن الكريم ، وقد ساق الأدلة والنصوص من التوراة والاصحاح بمقارنة علمية بين الأديان أثبتت صدق نتائجها وعدم معارضتها .
٥. مما يستلطف على شخصية العلامة الطباطبائي سعة صدره وتبحره ودقة اختياره ، فهو مع الدليل أينما يميل مال معه وإن طال به المقام .
٦. إنْ صحَّ التعبير فالمدونة التي جعلها منهجا له في كل مظانه هي مدونة تدعو أطرافها أقطابها والعكس صحيح ، فكل شيء عنده لا بدَّ أن يرتبط بالآخر بمعونة سياق الاستعمال والقرائن العامة .

الهوامش

[١]) ينظر. طبقات أعلام الشيعة/ آغا برزك الطهراني : ٦٤٥/١ ، والبحث الدلالي في تفسير الميزان (دراسة في تحليل النص)/ د.مشكور كاظم العوادي : ٢، وعلوم القرآن عند العلامة آية الله السّيّد محمد حسين الطّباطبائيّ (قده) (دراسة مقارنة)/ الشيخ عارف هنديجاني فرد : ٤٢ وما بعدها ، ومحمد حسين الطباطبائي ... أضواء على السيرة الذاتية والعلمية / أ.م.د. إبراهيم موحان تايه ، (بحث منشور) ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة واسط ، العدد الخامس والعشرين ،٢٠١٧ ، ١٧٣ - ١٧٦.
[٢]) ينظر . علوم القرآن عند العلامة آية الله السّيّد محمد حسين الطّباطبائيّ (قده) (دراسة مقارنة) : ٧
[٣]) ينظر . الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان / علي الأوسي : ١٠ .
[٤]) القرآن وعلم الآثار (نشرة علمية متخصصة) تصدر عن مؤسسة طور سينين للأبحاث الدينية والتاريخية / تأليف السيد سامي البدري ، العدد الأول ، ١٤٢٠هـ ، http://albadri.info/aathar/a6.htm .
[٥]) الكهف /٨٣- ٩٨.
[٦]) ينظر . الميزان في تفسير القرآن/ السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٣ / ٣٠٥-٣٢٣ .
[٧]) ينظر على سبيل المثال : البداية والنهاية / ابن كثير : ٢/ ١٠٢. وهناك بحث منشور في الانترنيت على الموقع الاتي يعرض لذي القرنين عرضا مفصلا ومزودا برسومات ومخطوطات آثارية لهذه الشخصية https://ar.wikipedia.org/wiki/
[٨]) قصص الأنبياء (المسمى بتاريخ الانبياء) / السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٦٦ .
[٩]) المصدر نفسه : ١٦٦ – ١٦٧.
[١٠]) ينظر . شرح الكتاب المقدس – العهد القديم – القمص انطونيوس فكري : سفر التكوين الاصحاح العاشر ١٠.
[١١]) قصص الأنبياء : ١٦٨.
[١٢]) الميزان في تفسير القرآن : ١٣ / ٣٠٥-٣٢٣ .
[١٣]) ينظر . نفسه : ١٣ / ٣٠٥-٣٢٣ .
[١٤]) ينظر. قصص الأنبياء : ١٨٠ - ١٨١.
[١٥]) قصص الأنبياء : ١٨٠
[١٦]) ينظر. نفسه : ٧١ .
[١٧]) سورة هود / ٣٦- ٤٨ .
[١٨]) ينظر. قصص الأنبياء : ٧٨ .
[١٩]) نفسه : ٧٩ .
[٢٠]) قصص الأنبياء : ٧٩ .
[٢١]) تفسير المنار / محمد رشيد رضا : ١٠٨/١٢.

- الجودي جبل في الجزيرة استوت عليه سفينة نوح (عليه السلام) تسمى قمته في التوراة (أراراط) ، وقيل إن أراراط أو أرارات هو أعلى قمة جبلية في تركيا استقرت سفينة نوح على قمته لا على قمة الجودي . ينظر. طوفان نوح (عليه السلام) في القرآن والأساطير القديمة /منصور عبد الحكيم : ١٢٠ – ١٢٤.

[٢٢]) ينظر . قصص الأنبياء : ٨٤ .
[٢٣]) يتحدث كتاب (قصة الطوفان في نصوص الأسطورة والتوراة والقرآن / صلاح أبو السعود) عن تفاصيل القصة كاملة.

Bibliography:

1. alquran alkarim .
2. albahth aldalaliu fi tafsir almizan (dirasat fi tahlil alnus)/ da.mashkur kazim aleawadi, ta1, muasasat albalaghi, bayrut, lubnan, 1424h-2003.
3. albidayat walnihayat / 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii albasriu (ta774ha) , dar alfikr , 1407 hi - 1986 m .
4. tafsir alquran alhakim almashhur bitafsir almanar / muhamad rashid rida , kharaj ayatih wahadithih washarh ghiribih : abrahim shams aldiyn , dar alkutub aleilmiat , bayrut - lubnan .
5. sharah alkitaab almuqadas - aleahd alqadim - alqimas antunius fikri .
6. altabatibayiyu wamanhajuh fi tafsirih almizan / ealiu al'uwsi , ta1 , matbaeat sabhar - tahran - aljumhuriat aliaslamiat fi ayran, 1405h - 1985m .
7. tabaqat 'aelam alshiyeati/ agha barzuk altahraniu , almatbaeat aleilmiat , alnajafa, 1375hi-1956m .
8. tufan nuh (ealayh alsalamu) fi alquran wal'asatir alqadimat /mansur eabd alhakim , dar alkitaab alearabii , dimashq - alqahira .
9. tufan nuh (ealayh alsalamu) fi alquran wal'asatir alqadimat /mansur eabd alhakim , dar alkitaab alearabii , dimashq - alqahira .
10. eulum alquran eind alealamat ayt allah alssyd muhamad husayn alttbatbayy (qadahu) (dirasat muqaranati)/ alshaykh earif hindijaniun fard , jameiat alquran alkarim , ta1, lubnan , 2013 .
11. alquran waealam aluathar (nasharat eilmiat mutakhasisatun) tasdur ean muasasat tawar sinin lil'abhath aldiyniat waltaarikhiat / talif alsayid sami albadri , aleadad al'awal , 1420h , http://albadri.info/aathar/a6.htm .
12. qisat altuwfan fi nusus al'usturat waltawrat walquran / salah 'abu alsueud : maktabat alnaafidhat , ta1 , 2010 .
13. qisat altuwfan fi nusus al'usturat waltawrat walquran / salah 'abu alsueud , ta1 , maktabat alnaafidhat , misr , 2010 .
14. qisas al'anbia' (almusamaa bitarikh alainbia'i) / alsayid muhamad husayn altabatibayiy , ta1, muasasat al'aelami lilmatbueat , bayrut , 2002m.
15. muhamad husayn altabatibayiyu ... 'adwa' ealaa alsiyrat aldhaatiat waleilmiat / 'a.ma.di. 'iibrahim muhan tayh , (bhath manshur) , majalat lark lilfalsafat wallisaniaat waleulum aliajtimaeiat , jamieat wasit , aleadad alkhamis waleishrin ,2017 .
16. almizan fi tafsir alquran / alsayid muhamad husayn altabatibayiy, ta2, manshurat muasasat al'aelami lilmatbueati, birut, lubnan, 1392h-1972m.
17. https://ar.wikipedia.org/wiki/